

عقيدة المؤمن.. التحرر من هيمنة الذات



عقيدة المسلم: تحدد هدفه في الحياة، وترسم سلوكه في المجتمع، وتخطط مستقبله في الدنيا.. وفي الآخرة.

وحياة الإنسان بلا عقيدة الإسلام، حياة الأنعام..

والعقيدة الإسلامية السليمة ذات فاعلية مؤثرة، تجسد في ما قلب المسلم من إيمان، وترجم ما في ذهنه من أفكار، في واقع تعامله مع الله تعالى، ومع الناس، فتنتظم حياته حسب منهج الإسلام. فإن لم تكن العقيدة كذلك، فهي لفلقة لسان يمقتها الله تعالى: (كَذِبُ الرَّمَقَاتِ عِنْدَ اللَّيْلِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (الصف/ 3).

وكلما ترسخت العقيدة في قلب المسلم، سمت أهدافه، وارتقت قيمه ومواريئه، واتقدت في روجه العزائم والهمم.. حتى إذا بلغت العقيدة درجة التحرر من "هيمنة الذات"، وصف من "اتباع الهوى"، صار يتحمل كل شيء.. ماله وأهله وحياته، ولا يرجو أي شيء.. جاهاً.. أو سمعة... أو ثناء، إلا رضاه الله تعالى والجنة:

فهو يختار الحياة، حيث يعيش في ظل الإسلام..

أو يختار الجنة، حيث يحيا الإسلام بدم الشهادة..

- الشهادة فتح ميين:

أراد ﷻ تعالى أن لا يكون الإسلام "أفكاراً" مطروحة، بل "واقعاً" إنسانياً مشهوداً، يجسده أصفياء ﷻ تعالى، عقيدة تزر بها النفوس... وعبادة يتعطر بها المحراب... وحكماً يسود به الحق في المجتمع... وقضاء يستتب به العدل... وشهادة في ميادين الصراع مع الجاهلية، تخلد بها الرسالة، وأنف الكافرين راغم..

والشهيد فاتح: لأنّه يفتح درب المباشرة إلى ﷻ تعالى، ويختصر الطريق إلى النعيم: أوّل فطرة من دمه تغسل عنه كل الذنوب وتلقفه الحور العين، تمشح التراب والدم عن نحره.. فيدخل الجنة بلا حساب.. يتبوا منها حيث يشاء..

والشهيد فاتح: لأنّه "لا يرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً"، وعندئذ، يكون وحده القادر على تقويض الجاهلية إذا تحكمت... ولوى الناس لها الرقاب..

والشهيد فاتح.. لأنّه يوقظ جيله، والأجيال من بعده، ويربطها بشهادته: عاطفياً وفكرياً، لتحمل الراية... وتخوض المعركة... وتبذل الدم... وتحرز إحدى الحسينين:

(قُلْ هَلْ تَرَى بَصُورًا بَيْنَنَا وَإِلَٰهِي الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّاتَةُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْسٍ يُدْرِينَا...) (التوبة/ 52).

- الشهادة بطولة:

والمتدبر لأحوال الأمم المقهورة، ومواقف الصفوة المؤمنة من رجالها، يجد أنّ الاقزام الطغاة، في كل فترة من فترات الجاهلية، لا يكتفون بالتحكم بأرواح الناس، وأموالهم، وأعراضهم فحسب، بل يحاولون مصادرة حرياتهم في الاعتقاد باﷻ وحده، أو تشريدهم في الآفاق: (قَالَ الْمَلَأُ السَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالسَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعْرُدَّنَّ فِي مِلَّتِنَا...) (الأعراف/ 88).

أو التمثيل بأجسادهم (قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِمْ قَدِيلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ... * لأَقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِ ظُهُورِكُمْ... لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) (الأعراف/ 123-124).

أو قطع رؤوسهم، وحملها على الرماح من بلد إلى بلد!! كما فعل يزيد بن معاوية بأهل بيت رسول ﷻ (ص).

فإذا استبدت الجاهلية بالناس، وبيعت الضمائر في أسواق النفاق، وعتت الجباه للظلم والطغيان، وتوسد الناس بساط الذل، أو ألهبت ظهورهم سياط الجور، إلا الذين أعطوا "البيعة" عن يد وهم صاغرون.. عندئذ تتطلع الرسالة إلى من يحطم جبروت الجاهلية بقبضة الإيمان.. فيخرج على السلطان الجائر لينصحه.. فيقتله السلطان.. فيكون أفضل الشهداء عند ﷻ.. لأنّه، في ظل الارهاب الأحمر:

قال للجاهلية "لا.."، وأقدم على الشهادة..

وتلك أعظم ملاحم البطولات.

- يا أُمَّة محمد (ص):

إنّ المجاهدين إذ "يرون الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه" فيستشهدون في سبيل الله تعالى، انّما يروون بدمائهم شجرة الإسلام.. وينحتون من أشلائهم منارة الجهاد.

وان سيد شباب أهل الجنة، ربحانة رسول الله (ص)، الامام الحسين بن علي (ع)، ضرب المثل الأعلى في الإيمان والآباء، والتضحية من أجل الحفاظ على الإسلام، واصلاح المجتمع الإسلامي المنهار: "... وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أُمَّة جدي...".

وانّ الامام الحسين (ع) سيظل عبر التاريخ، يهز عروش الظالمين، ويرعب قلوب الجلادين، لما تثيره ذكره الدامية الخالدة، "كل عام" من فكر جهادي في نفوس الجماهير المسلمة..

وان أصحاب الحسين (ع) ليسوا "سبعين" رجلاً وامرأة فحسب، بل وكل الأجيال المجاهدة والمضحية من أجل تطبيق الإسلام.

وان هؤلاء الشهداء.. حلت فيهم نفحة إلهية، فانتصرت إرادتهم على الحياة، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، فجدوا على ساحة "كربلاء" أروع قيم الشهادة: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَدْتَرِبُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (الأحزاب/ 23).

والسلام عليك يا أبا عبد الله.. الحسين الشهيد..

وعلى الشهداء المجاهدين بين يديك..